مجلة مركز بحوث و دراسات المدينة المنورة

العدد الرابع محرّم- ربيع الأول ١٤٢٤ هـ مارس - مايو ٢٠٠٣ م

- مساجد الفتح (المساجد السبعة) وصلاة النبي ﷺ فيها
- المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة في العهد العثماني
- مخطوطات المدينة المنورة في الخزانة الهاشمية الخاصة
- البنية العمرانية للمدينة المنورة قبل الإسلام
- التفقه في الدين والاندماج في أمة الإسلام عند القبائل المجاورة للمدينة المنورة

قراءة في كتاب
محمد عالم أفغاني من رواد المقالة والترجمة والقصة

للدكتور محمد عيد الخطراوي

دراسة : محمد الدبيسي

أديب وناقد سعودي

مدخل يمثل محمد عالم أفغاني قيمة ريادية في مراحل تأسيس الحركة الثقافية في المملكة العربية السعودية ، والحجاز خصوصًا الذي توافر كإقليم مكاني على جاهزية بيئية ، وأنظمة اجتماعية ، أفرزت خطابها الثقافي مبكرًا .

وبذلك تكمن أهمية هذا الخطاب في طبيعته التكوينية التي كانت مهادًا أوليًا لعطاءات الحركة الثقافية وأنساقها المتعددة .

وبذلك يصير درس وقراءة نماذج ذلك الجيل ، مسارًا وجيهًا يضيء ملامح مرحلة هامة من مراحل التاريخ الأدبي .. ويربط وعي القارئ المعاصر بمعطيات مرحلته الراهنة ، ويكشف في الآن ذاته رؤية جيل التأسيس ، لاسيما في فن سردي كالقصة ، تحيط بشروط وجودها عوامل اجتماعية وثقافية قد لا تجد سندًا ثقافيًا موضوعيًا يساعد على تبلورها .

دراسة الخطراوي تؤكد على إسهام بيئة المجتمع الحجازي في إثراء فن السرد

ولذا تأتي دراسة الدكتور محمد العيد الخطراوي المعنونة « محمد عالم أفغاني من رواد المقالة والترجمة والقصة »[1] في سياق الدرس الأدبي بمؤشراته التاريخية ، مؤكدة على إسهام بيئة المجتمع الحجازي في إثراء فن السرد ، وإنتاج نماذجه الأولى ، والتي أعلنت انبثاق وعي فئة من المثقفين على مجال للتعبير الجمالي غير الشعر .

---

(١) محمد عالم أفغاني من رواد المقالة والترجمة والقصة ، د. محمد العيد الخطراوي ، الطبعة الأولى ، النادي الأدبي الثقافي ، جدة ، ١٤٢٣هـ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وقد أدرك المؤلف ذلك في وقت مبكر ، معلنًا قدرة المكان على هذا الإسهام الثقافي الجاد : « أدركت في وقت مبكر أن البيئة المدينية قد أسهمت بتقديم مجموعة من القصاصين الرواد الأوائل ، منهم : عبد القدوس الأنصاري ، وأحمد رضا حوحو ، ومحمد عالم أفغاني ، وأمين مدني ، وأحمد بشناق ، وعبد السلام هاشم حافظ ، وغالب أبو الفرج ، ومحمود مشهدي ، ومحمد سعيد دفتردار ، وغيرهم »[١] .

فهذه الكوكبة من الرواد قد أدركها المؤلف معايشة ومعاصرة ، وخبر عن قرب دورها الريادي ، وحرصها على تأسيس فعل ثقافي بجهود فردية ، وبواعث ذاتية صادقة ومخلصة ، ومن المؤكد على الهدف التاريخي للكتاب ، هو تأكيد عنوانه على ريادة الأفغاني لثلاثة مجالات ثقافية « القصة والمقالة والترجمة » .

وهو هنا يؤكد تواترًا قدرة البيئة المدينية على إنجاب مثل هذه النماذج الثقافية متعددة المواهب والقدرات .

سيرة محمد عالم أفغاني ودوافع إبداعه

وفي مهادات الكتاب يعرض المؤلف للملامح التقليدية لسيرة محمد عالم أفغاني الذاتية ، مولده ودراسته واهتماماته ، ويشير إلى محفزات الأداء الإبداعي للأفغاني وجيله ، ومدى الحماسة الشخصية التي تدفعهم للعطاء والإنتاج ، وحرصهما على الإلمام بجوانب متعددة من البنى الثقافية الإجادة فيها .

كما يقدم المؤلف عدة شهادات من أدباء الحجاز على براعة وتميز الأفغاني وحماسته المتقدة .

ويشير المؤلف هنا إلى « أن الأفغاني وحوحو كانا يُحِسَّان بافتقار أدب بلدهما السعودية إلى هذا الفن الأدبي الجديد ، فلم يقتصرا على محاولة الكتابة فيه ، بل دعيا الكتَّاب إليه ، وقاما بترجمة بعض القصص إلى العربية »[٢] .

وفي هذه الإشارة دلالة على أن ثمة همًا مشتركًا يجمع بين أديبين من بيئة واحدة إلى النهوض بمسألة الترجمة استشعارًا لأهميتها ، إدراكًا منهما لفاعليتها

(١) المرجع نفسه ص ٥ .

(٢) المرجع نفسه ص ١٣ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

في إثراء الأدب ، وللمهتمين به ، في وقت لا تزال الأمية تلقي بمعضلاتها على كثير من أفراد المجتمع آنذاك !!

والمتأمل لتفاصيل الجانب الذاتي من حياة الأفغاني كما أوردها المؤلف الدكتور الخطراوي يلحظ إلمام الأخير بإبراز المعوقات الشخصية التي لازمت الأفغاني وكفاحه المشرف في سبيل صياغة وجه ثقافي لمجتمعه ، ودأبه المتواصل على تجسيد عطائه الأدبي وترجمته على واقع فعلي ملموس .

التركيز على ريادة محمد عالم أفغاني دون التعمق في دراسة تحليلية لأدبه

وإذا كان المؤلف غير معني بدراسة تحليلية معمقة لدور الأفغاني الأدبي بقدر عنايته في إبراز ريادته الأدبية تاريخيًا ، وبشكل مجمل ومختصر ، يفتح آفاق مثل هذا المسار التحليل أمام القراء والباحثين ، وقد أشار إلى ذلك بقوله : « وإنني أعلم مسبقًا أنني لم أتعمق دراسة الأفغاني ، ولا تتبعت خصائصه الفنية فيما كتب ، ولكنني أعلم في الوقت نفسه أنه يقدم لأول مرة على النحو الذي قدمته به ، وأنني حاولت أن أضعه في مكانه الصحيح من خريطة مسيرة نهضتنا الأدبية المعاصرة »[١] .

ثم يشرع المؤلف في تتبع عطاء محمد عالم أفغاني في المقالة والترجمة والقصة ، فيفرد القسم الأول من الكتاب للمقالة :

والتي قدم فيها نماذج من مقالات الأفغاني ، والتي جاءت أولاها بعنوان :« الأدب القصصي في الحجاز - نواحي الضعف في أدب الحجاز »[٢] ، وفي هذا المقال يبرز وعي الأفغاني بمعضلات الأدب في الحجاز ، وأسباب ضعفه في ذلك الوقت .

ويرى الأفغاني أن ثمة سببين لا ثالث لهما شكلا هذه المعضلات ، وهما :

١ - « هذا التعليم المدرسي المحدود ، هذا التعليم الذي لم يتعد حتى الآن البرنامج الابتدائي ، وهو أول وأبسط الدرجات التعليمية في العالم جميعه » .

٢ - « ثم عدم تكون (روح القراءة) فينا ، وأعني بها القراءة المستمرة المنظمة لما أخرجته وتخرجه المطابع في كل يوم ؛ من كتب ناضجة تتناول أشتات العلوم والآداب والثقافات »[٣] .

---

(١) المرجع نفسه ص ٦ .

(٢) المرجع نفسه ص ١٤ .

(٣) المرجع نفسه ص ١٤ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وتبرز هذه المجتزأة من مقالة الأفغاني وعيه بأهمية التعليم في الإعداد الثقافي ، ومدى أهمية تأثيره وهو على تلك الحالة في تواضع الأدب وضعفه ، وكذلك ما أسماه « روح القراءة » والشغف بالاطلاع ، لإيجاد مناخ أدبي وتنشيط لوعي المجتمع بأهميتها .

كما يستعرض في مقالته نماذج لنصوص قصصية لمعاصريه ، مثل عبد القدوس الأنصاري ، وعزيز ضياء ، وحسين سرحان .

وفي هذا القسم يقدم المؤلف (عشر مقالات) للأفغاني ، تبرز وبوضوح مزاجه الفني ومدار اهتماماته الأدبية ، ومدى إلمامه بالمشهد الثقافي في عصره ، وأهم القضايا المؤثرة في ذلك المشهد .

أما القسم الثاني فكان عن المترجمات .

وفيه عرض المؤلف (ثمانية نصوص) مترجمة من الأدب التركستاني والياباني والغربي .

أما القسم الثالث فكان عن قصص الأفغاني :

القصة عند الأفغاني هي أبرز إنتاجه الأدبي

وفيه قدم المؤلف (ثلاثة عشر نصًا قصصيًا) وهو الجانب الأبرز في مشواره الأدبي ، والمجال الذي اشتهر به في أدبنا المعاصر ، والذي عده مؤرخو الأدب في بلادنا من رواده ومؤسسيه .

والمتأمل لقصص الأفغاني في نماذجها التي قدمها الدكتور محمد الخطراوي يلحظ براعة حسه التصويري في التقاط مناطق حساسة من واقع الأحداث التي يقدمها ، ومدى تأثره بالبيئة الاجتماعية بالمدينة المنورة ، وانعكاسها جماليًا على نصوصها ، لاسيما في قصتي « صورة من حياة الصيف بالمدينة المنورة »[1] ، و « أحلام »[2] حيث يجسد تفاصيل البيئة والإنسان بالمدينة عبر نماذجه القصصية ، وربطه لها ببؤرة الحدث القصصي ، وإعطائه مدى للتفاعل من خلال الحوارات التي يعقدها بين الشخصيات ، بالرغم من وضوح تأثره بالنماذج

(١) المرجع نفسه ص ١٣٧ .

(٢) المرجع نفسه ص ١٤٢ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المعاصرة من كتاب القصة في الوطن العربي ، ولاسيما يحيى حقي في انتقاء شخصيات بعينها ، وتصوير شحناتها النفسية ، وتواتراتها إلى مشهد النص القصصي .

وهو ما يؤكد وجاهة اعتبار الأفغاني رائداً مؤسسًا لهذا الفن في بلادنا .

إن الكتاب الذي يقدمه الخطراوي بالرغم من كونه معنيًا بالجمع ولم شتات هذه النثارات من أدب الأفغاني ، فإنه يشير إلى علاقة مهمة في خطابنا الثقافي المعاصر .

وتكمن هذه العلاقة في إضاءة جوانب مهملة لفاعليات مهمة في تاريخنا الثقافي . يكون محمد عالم أفغاني نموجًا بارزًا فيها .

ويؤكد في الآن ذاته ، تواصل إنجازات هذا الخطاب ، وتوالي عناصره الزمنية والإنسانية متسقًا مع مفهوم ارتباط الخطاب الثقافي ذاته ، بمرتكزاته التأسيسية ، ومهاداته التي كوَّنت أرضية حيوية لازدهاره فيما بعد .

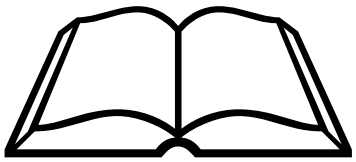

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة